

تفسير ابن كثير

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ^ج كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ^ط مَا
كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^ج نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ^ق وَفَوْقَ كُلِّ
ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ، أي فتشها قبله ، تورية ، (ثم استخرجها من وعاء
أخيه) فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم والزاما لهم بما يعتقدونه; ولهذا قال تعالى :
كذلك كدنا ليوسف (وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه ، لما فيه
من الحكمة والمصلحة المطلوبة . وقوله : (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي : لم
يكن له أخذه في حكم ملك مصر ، قاله الضحاك وغيره . وإنما قيض الله له أن التزم له
إخوته بما التزموه ، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم; ولهذا مدحه تعالى فقال : (نرفع
درجات من نشأ) كما قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات والله بما تعملون خبير) [المجادلة : 11] . (وفوق كل ذي علم عليم) قال
الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم ، حتى ينتهي إلى الله عز وجل . وكذا روى

عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن سعيد بن جبير قال : كنا
عند ابن عباس فتحدث بحديث عجيب ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله فوق كل ذي
علم عليم [فقال ابن عباس : بئس ما قلت ، الله العليم ، وهو فوق كل عالم] وكذا روى
سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وفوق كل ذي علم عليم) قال : يكون هذا
أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم . وهكذا قال عكرمة . وقال قتادة
: (وفوق كل ذي علم عليم) حتى ينتهي العلم إلى الله ، منه بدئ وتعلمت العلماء ،
وإليه يعود ، وفي قراءة عبد الله " وفوق كل عالم عليم " .